

12-10-2013

الثقافية

مداخلات لغوية

اتجاهات الدراسة اللسانية المعاصرة في مصر

أبو أوس إبراهيم الشمسان



هذا كتاب للزميل الرائع الدكتور عبدالرحمن حسن العارف، وهو في أصله رسالة دكتوراه قدمت لكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى (مكة المكرمة) نوقشت في 11/1/1415هـ، أشرف عليها تمام حسن رحمه الله، وناقشها خليل عمارة وعليان الحازمي، وكنت أردت عرض الكتاب فرأيت فريدة أدبية رائعة زينت غلافه الخارجي كتبها الصديق العلامة الأستاذ الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح (أستاذ اللسانيات في جامعة الكويت)، رأيت أن أضعها أمام القارئ الذي لا يتيسر له الاطلاع على الكتاب، يقول أستاذنا:

«لقد أجرى مؤلفُ هذا الكتابَ حَيْلَهُ في مشوارٍ كثيرٍ العنار، متناولٍ الزمان، بعيدٍ الشِّقَّة؛ فما هو بالعرضِ القريب ولا بالسَّفرِ القاصِد، وصَبَرَ نفسَه على قطع هذه الخُزُونِ حتى تَسَهَّلَ له من الحَقبة؟ إنها حقبةٌ شَهِدَتْ طلائعَ الريادة العلمية الحديثة في بلاد العرب، وتقلَّبتْ بها المراحلُ والأطوارُ من قُدُماها إلى حُدُثاها، واتصل فيها حاضرُ العلمِ بَماضيه العريق.

لهذا كَلِمَ لم يكن بدُّ من النظر المُتَلَيِّث، والدرسِ المُبَسِّطاني؛ لا على ملاحظةٍ لَعَرَض، أو مطالعةٍ لِعَوَض، ولكنَّه طلب الحَقِّ والتَّصَفَّة بعين ناقدة وعقل نقابة، وقصد إلى أهدى السُّبُل ومُثْلَها في إقامة الحُجَّة وإضاعة المَحَجَّة. وحسبُ القارئ لهذا الكتاب أن يُرَاجَ فيه إلى صرامةِ الجِدِّ وطرافةِ الجِدَّة، وكلا الأمرين مُعْجِبٌ ومُعْجَبٌ إلى ما لا تُحِيطُ به حَيْطَةُ المقال.

ثم إنَّ المؤلِّفَ، وهو يصدِّع بالحُجَّةِ البَيِّنَةِ في غير ضَعْفٍ ولا قِلاوةٍ عندما تَتَشَاجَبُ الآراءُ، تراه مع هذا يذهب في كتابه مذهبَ أهلِ التَّواضُعِ من طُلَّابِ الحقيقة؛ فهو يُخَافِي شَخْصَه في غير تطاولٍ ولا تطالٍ؛ خافِضًا جناحَه للأستاذين وشيوخِ العلمِ ممن تَرَبَّينا على فضلِ علمهم، وهو بهذا ممن يَسْتَوْنَ لِجِيلِهِ ولِلأَخْلَافِ من بعده كلِّ حميدٍ من السُّنَنِ.

لستُ أريدُ بهذه الكلمة أن أطيلَ الوقوفَ أمامَ أبوابِ هذا السِّفَرِ الرصين، وحَسْبِي أن أهَيِّئَ للقارئ مُدْخَلَ صِدْقٍ إلى شوايكِ القضايا والمسائل، حتى يُؤَسِّسَ القارئُ على مُكْتَبِ لِنَفْسِهِ معرفةً وثيقةً بالسُّهُمَةِ المصرية في رأسِ المالِ المعرفيِّ للسانيات العربية: تأملًا منه لما كان، وتصحيحًا وتعميقًا لما هو كائن، واستبصارًا لأفقٍ جديدٍ تستحيلُ به هذا هذه السُّهُمَةُ زادًا ونماءً لمستقبلِ العلمِ اللساني والنهضة الشاملة في بلاد العرب.

ولا يلزم عن الإقرار بإخلاص النية في الطلب، واستقامة المنهج في التصنيف، مطابقة المؤلف على كل ما انتهى إليه بحثه، أو التسليمُ له بِجَمْهَرَةٍ ما حصَّلَ من نتائج؛ فإن لقيتُ -أيها القارئ- مَطْئَةً اعْتِراضٍ، أو بدا ما يذهبُ بكِ إلى الخلاف، فأَعْلَمُ أَنَّكَ وإِيَّاهِ على مَحَجَّةِ الجدلِ المُنتِج. والمثاقفة المستنيرة. تَلَكُمُ هي حركةُ العقلِ في فَلَكَ العلم؛ إذ يُكَوِّرُ ليلَ المجاهدة على نهارِ الكشف، ونهارَ الكشف على ليلِ المجاهدة، راصدًا لشمسِ الحقيقة؛ تلك التي تجري أبدًا لمستقرِّ لها.

هنيئًا لصديقنا الدكتور عبدالرحمن إشراف تمام حسان على رسالته، وكلمة أستاذنا سعد مصلوح عن كتابه.

